Jadal
العدد 42 | كانون الأوّل 2024

باكورة مقالات

طلبة سمينار الدراسات العليا

للعام 2024

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية

جدل 42
كانون الأول 2024

باكورة مقالات طلبة سمينار الدراسات العليا للعام 2024

تحرير: مهنّد مصطفى
تدقيق لُغويّ: حنّا نور حاجّ
تصميم: أمل شوفاني

حقوق النشر محفوظة 2024
مدى الكرمل- المركز العربيّ للدراسات الاجتماعيّة التطبيقيّة
العنوان: شارع هميچنيم 90، حيفا
البريد الإلكترونيّ: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

المحتويات

06 المقدّمة

07 **مقاربات اجتماعيّة**

08 الخصوصيّة في ظلّ ثقافة الرقابة
أمير عودة

12 في راهنيّة الحرملك: تحليل نقديّ لمنهجيّة الألقاب والأسماء في المجتمع الفلسطينيّ
ميّادة عصفور

16 السياسة الحمائليّة، الإدارةِ الشبكيّة في السلطات المحلّيّة ونجاعةِ العمل التشارُك
أشواق منديّة

20 **سياسة وقانون**

21 شعبويّة نتنياهو: ما وراء النصر الشامل
مريم فرح

27 الدَّوْر الدبلوماسيّ للأكاديميا الفلسطينيّة
دعد محمود

33 في ظلّ خسارة مؤكَّدة: الالتماسات المقدّمة الى المحكمة العليا الإسرائيلية
رغدة عوّاد

37 الحركة الإسلاميّة كتيّار فاعل ومؤثّر في النقب
ساهر غزاوي

40 **فن وثقافة**

41 حملات التمويل الجماهيريّ كآليّة للحفاظ على الهُويّة: صناعة الثقافة في الداخل الفلسطينيّ
معتصم زيدان

45 أن تُنتِج فنًّا مستقلًّا في فلسطين بين الرفاهيَة والفعل السياسيّ
عبير بشتاوي

48 "العافية، المثنّى وما يُحسنُ" قراءة في جوهر ووسائط المجاوَرة عند منير فاشه
علي قادري

52 *الزمن المنفويّ... قراءة في فيلم "السبّاحتان"*
علي مواسي

58 **سياسات الحيّز**

59 بين النظرّي والعمليّ في خطط العمل المختلفة لتطوير البلدات العربيّة: طمرة نموذجًا
رنين دياب

63 "روابي": البديل الوحيد في غياب المدينة الفلسطينيّة الحديثة
مريم حاجّ يحيى-عازم

أن تُنتِج فنًّا مستقلًّا في فلسطين بين الرفاهيَة والفعل السياسيّ

عبير بشتاوي*

يُعَدّ سؤال الفنّ سؤالًا جوهريًّا ودائم التداول في ظلّ الاستعمار، ولذا اخترت أن أشير في هذا المقال إلى السعي الدائم لإنتاج الفنّ المستقلّ أو الفلسطينيّ، في واقع فنّاني الداخل المحتلّ عام 1948؛ إذ إنّنا نرى أنّ محاولة إنتاج فنّ فلسطينيّ مستقلّ هي تَحَدٍّ تبلْوَرَ ليصبح مقولة سياسيّة بحدّ ذاتها في واقع يعتاش فيه أغلب الفنّانين من التمويل الحكوميّ للثقافة والفنون. وهذا حقّ لكلّ فنّان يسكن في دولةٍ ما ويسدّد الضرائب فيها، إلّا أنّه في أراضي الـ 48 تَحوَّلَ التمويل الحكوميّ إلى أداة تسكيت وقمع. ذاك واقع بدأ في التدهور شيئًا فشيئًا في السنوات الأخيرة، وبلغ ذروته بعد السابع من أكتوبر /تشرين الأوّل (2023).

حول أهمّيّة الفنّ -نظرة من الحاضر إلى الماضي

بعد سنوات من انشغالي في الساحة الفنّيّة الفلسطينيّة، ولا سيّما في الفنون الأدائيّة والمسرح، بدأت ألحظ تهميش دَوْر الفنّ في المجتمع الفلسطينيّ عمومًا، وفي الداخل الفلسطينيّ على وجه التحديد، والنظر إليه على أنّه "رفاهيَات". بدأ هذا السيناريو يظهر مؤخّرًا بعد تفشّي وباء الكورونا وإعادة تقسيم الأعمال حسب أعمال ضروريّة وَ"غير ضروريّة" وتقييم العمل ذاته كعمل مهمّ أو أقل أهمّيّة، فتضرّر الكثير من الأعمال وتوقّفت الحالة الثقافيّة المعتادة حتّى بدأ ينتشر الفنّ الذي سأسمّيه فنًّا رقْميًّا في أحسن حال، وفنّ السوشال ميديا أو فنّ الإنستچرام بنظرة أكثر واقعيّة. بدأت هذه الحالة في التبلور بعد إعلان الإغلاق الأوّل في آذار عام 2020؛ إذ منذ ذلك الوقت حتّى الآن تراجع الإنتاج الفنّيّ الفلسطينيّ ليصبح بقايا فنّ، فنّ يحاول النجاة أو فنّ يواجه الصدمات. ومن الجدير بالإشارة إليه أنّه في حين تضرّرت الفنون التشكيليّة بشكلٍ ما، تلقّت الفنونُ التي تحتاج إلى فريق عمل كالفنون الأدائيّة والسينما وغيرها الصفعةَ الكبرى. أمّا بعد السيطرة إلى حدٍّ ما على جائحة الكورونا، فقد بدأت المحاولات لإعادة الإنتاج الفنّيّ من جديد، بينما في الإمكان السيطرة على تبعات الكورونا إلى حدٍّ ما، فإنّ ممارَسات الاحتلال ما زالت حاضرة في كلّ مَناحي حياتنا كفنّانين فلسطينيّين.

صحيح أنّ الفنّ الفلسطينيّ داخل فلسطين المحتلّة لا يعيش اقتحامات لمراكزه الثقافيّة على نحوٍ يوميّ، مثل ما يحدث في الضفّة الغربيّة، على سبيل المثال، لكنّه حتمًا يمرّ في تحدّيات أخرى قد لا تقلّ قمعًا، تُعمِّق الشُّحّ في الإنتاج أو تؤثّر على شكله ومضمونه. من أهمّ الأسباب المباشرة التي تؤدّي إلى شُحّ الإنتاج الفنّيّ الفلسطينيّ داخل الخطّ الأخضر، وخاصّة ذاك الذي ينتقد ويحاكي الواقع ولا يتهرّب منه، هو التمويل المشروط وهو في الواقع الإنتاج المموّل من وزارة الثقافة الإسرائيليّة أو الجهات الحكوميّة، حيث يُضطرّ الفنّان إلى الاختيار بين الانصياع لشروط التمويل التي تحتّم عليه عدم الخوض في فلسطينيّته وواقعه بأيّ شكل من الأشكال، فيُضطرّ (الفنّان) إلى تبنّي الأَجِنْدات

التـي تريـد الجهـات المموِّلـة الترويـج لهـا، أو الامتنـاع عـن الأفـكار والمواضيـع التـي لا يحبّـذ المموِّل الخـوض فيهـا. ليـس مطلوبًـا مـن الفنّـان الفلسـطينيّ أن يُنتِـج فنًّـا يسـتغلّ الرمـوز الفلسـطينيّة، إلّا أنّ إنتاج الفنّ بقبّعة إسرائيليّة له أبعاد أكثر من هذا؛ فهي تؤطّر الممثّل الفلسطينيّ في أدوار تضعه في قوالب عنصريّة، بل تنزع عنه صفته الإنسانيّة (على نحوِ ما نجد -على سبيل المثال- في المسلسل الإسرائيليّ "فوضى").

وإذا اختار الفنّان ألّا ينصاع لتمويل معيَّن، فعليه أن يعمل في أيّ حقل آخَر كي يوفّر المال ويُنتِج على نحوٍ مستقلّ فعليًّا؛ وذلك أنّه من المعدوم تمامًا توافر فرص للإنتاج تخلو من أيّ شروط أو أَجِنْدة. هذه المعادلة كانت قائمة دائمًا، وبخاصّة بعد إبرام قانون الولاء بالثقافة، وفي أعقاب قضيّة مسرح الميدان في حيفا حيث جرى تجميد ميزانيّات المسرح بعد إنتاج مسرحيّة "الزمن الموازي" (من إخراج بشّار مرقس)، المستوحاة من رسائل الأسير وليد دقّة الذي بقي أسيرًا حتّى آخِر لحظة من حياته، واستُشهِد داخل سجون الاحتلال. فقد اتّبعت وزارة الثقافة الإسرائيلية خطوات عقابيّة تجاه المسرح أصبحت نهجًا تتّبعه مع كلّ الحقل الفنّيّ والثقافيّ في الداخل الفلسطينيّ. بموجِب هذا النهج المتّبَع، إذا كنت تعرّف نفسك بأنّك فلسطينيّ فلن تستطيع أن تعبّر عن نفسك فنّيًّا داخل مؤسَّسة تدعمها أيّ جهة إسرائيليّة.

الفنّ رسالة سياسيّة في ظلّ الحرب

أمّا الآن، وخلال الحرب القاسية التي تجتازها البلاد بعد السابع من أكتوبر /تشرين الأوّل (2023)، فتُضاف طبقة أخرى إلى هذا السياق من خلال أسئلة وتحدّيات تتعلّق بإنتاج الفنّ في هذا الوقت؛ إذ نخوض ونشهد نقاشات عديدة حول جدوى إنتاج الفنّ خلال الحرب على غزّة. فعلى سبيل المثال، بعد إقامة مؤسَّسة القطّان في رام الله معرضًا فنّيًّا حول ما يجري في غزّة، انتقد البعض ما يحدث قائلين: "عليكم إنتاج الفنّ عن الإبادة بعد انتهائها لا خلالها". في المعتاد، تأتي هذه التعليقات من أشخاص غير فنّانين، ويتساءل البعض عن جدوى إنتاج الفنّ في هذه الظروف.

وجدتُني أجيب عن هذا السؤال لا لضرورة طرحه فحسْب، بل لأنّه يتضمّن ما يشغلني ويشغل أصدقائي الفنّانين؛ إذ إنّ الفنّ وسيلة مهِمّة للتعبير، ولا سيّما في الأمور التي يصعب التعبير عنها بطرق تقليديّة، وللفنّان الفلسطينيّ دَوْر مهمّ في إيصال معاناة شعبه للعالم، وفي أن يوثّق ويعكس واقع أبناء شعبه. فإذا صمت الفنّان الفلسطينيّ عمّا يحدث، فمن يتحدّث باسْمه؟ إن لم تكن وظيفة الفنّان الفلسطينيّ إيصال رسالة شعبه فنّيًّا، فلماذا يُنتِج؟ ولمن يترك هذا الفراغ؟ كيف يمكن للفنّان أن ينفصل عن الواقع المحيط به ويُنتِج فنًّا لأجل الإنتاج فقط؟ وأخيرًا، كيف يستطيع الفنّان الفلسطينيّ أن يعبّر عن قضيّته وقضيّة شعبه فنّيًّا؟ وما هو الطرح المقبول؟ هل يُعتبر الفنّان القادر على الإنتاج بأيّ ثمن فنّانًا مرفَّهًا؟ هل يجب على الفنّان أن يفكّر في مردود الفنّ المادّيّ، أم عليه الإنتاج ليعبّر عن قضيّة سياسيّة معيَّنة دون الاكتراث بسائر التفاصيل -ولا سيّما أنّنا في لحظة حرب إبادة؟

لا شكّ أنّه من الصعب على الفنّانين تسديد الضرائب في هذه الفترة، فهُم غير قادرين على كسب المال بفنّهم. بالإضافة إلى ذلك، كثيرون يتوقّعون منّا أن نتوقّف عن إنتاج الفنّ لأنّه يُنظَر إليه على أنّه أمر أقلّ أهمّيّة ممّا يُظَنّ، بينما يرى جزء كبير من الفنّانين أنّ لهم دَوْرًا حقيقيًّا في التعبير عن قضايا

شعبهم، وأنّ دَوْر الفنّان هو إيصال رسالة شعبه. في الوقت نفسه، يطغى الخوف على فنّانين آخرين بعد القمع الذي استخدمته السلطات الإسرائيليّة تجاه الفلسطينيّين في كلّ فلسطين التاريخيّة، متّبعة طرقًا مخصّصة للقمع لكلّ واحدة من مناطقها. رافَقَ هذا الخوفَ أصابعُ اتّهام موجَّهة صوب الفنّانين الذين التزموا الصمت، وبخاصّة أولئك الذين يُنتِجون في المعتاد فنًّا عن فلسطين واكتسبوا شهرتهم بهذه الطريقة. بعبارة أخرى، أصبح السؤال هو: هل ينتهز أولئك القضيّة لمصلحتهم ويصمتون بينما شعبنا في أمسّ الحاجة إلى التحدّث وفضح جرائم الاحتلال؟ وعند الحديث عن الانتهازيّة، يرى آخرون أنّ إنتاج الفنّ في حدّ ذاته في هذه الظروف يُعَدّ عملًا انتهازيًّا وإساءة استغلال للقضيّة.

أمّا الفنانون داخل الخط الأخضر، فيجدون أنفسهم معزولين عن الفنّانين الآخرين في الدول العربيّة، وفرص تقدُّمهم قليلة. يلجأ بعضهم إلى الانخراط في المؤسَّسات الإسرائيليّة ويُنتِجون الفنّ العربيّ في مؤسَّسات تدّعي احتواءها للهُويّة الفلسطينيّة العربيّة، بينما هي في واقع الأمر تحاول السيطرة عليها وتجريدها من سياقها التحرُّريّ. لكن خلال الأشهر الأخيرة، ومع غياب الإنتاج الفنّي في المؤسَّسات العربيّة، لاحظت أنّ الإنتاج الفني في المؤسَّسات الإسرائيليّة يتزايد، وتحاول هذه المؤسَّسات استقطاب فنّانين فلسطينيّين للعمل معهم. وفي الوقت نفسه، تتعرّض المنصّات الثقافيّة العربيّة للهجوم لمجرّد استضافتها عروضًا تعبّر عن هُويّتها الفلسطينيّة، على نحوِ ما حدث مؤخَّرًا مع مسرح "السرايا" حيث ألغت الشرطة الإسرائيليّة عرض فيلم "اللدّ"، واستدعت مدير المسرح للتحقيق معه. في نهاية المطاف، أنا لا أكتب هذه المقالة لأحسم النقاش في جدوى إنتاج الفنّ، إلّا أنّي حاولت الإجابة عن السؤال من وجهة نظر فنّانة تحاول إنتاج فنّ مستقلّ في البلاد بصعوبة، وتتعامل معه على أنّه رسالة وطنيّة ملزِمة ومَصْدر دخل ثانويّ (لشديد الأسف، كان كذلك في الماضي، لكن هو شبه معدوم حاليًّا). من هنا أقول إنّه علينا -بوصفنا أبناء الشعب الفلسطينيّ- أن نعطي الخبز لخبّازه. وإنْ لم نستطعْ كفنّانين أن ننتج فنًّا في هذه الفترة، فهذا يؤكّد أنّنا لا نفعل شيئًا سوى التحديق في الفراغ، وأنّ إنتاج الفنّ والكتابة والخوض في الثقافة لا يهمِّش أيّ مَنْحًى آخَر من مناحي الحياة، بل هو جزء من الحالة الفلسطينيّة العامّة، ولكن علينا أن نراعي كيفيّة الطرح وماهيّته وطريقته، وأن نحاول أن نفعل شيئًا مقابل هذا، وألّا نستغلّه لجني المال أو اكتساب الشهرة، وألّا نقف مكتوفي الأيدي كأبناء هذا الشعب محدّقين في الإبادة وننتج عنها فنًّا ونكتب عنها نثرًا؛ فهذا بالتأكيد غير لائق.

***عبير بشتاوي: طالبة ماجستير بحثيّ في دراسات المسرح، جامعة تل أبيب. تعمل في الإعلام والفنون الأدائيّة.**

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية